Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وان الحواس لتكذب ، وما الحكم القاطع الا للذهن · وما الاستبانة الصحيحة الا للعقل ، اذ كان زماما على الأعضاء وعيارا على الحواس ··

وبعد حديث طويل على هذا النسق يوجه الجاحظ الى خصمه أسئلة والليك بعضها منها : « وهى من أصل مائة مسألة »

خبرنى عن معنى الفرات على حقه وصدقه ، وعن نضوب البحر وعن تنقص الأرض · ولم عمل الفلك فى هذا العالم وليس بينهما شبه ، وهـلا عمل فيه بقدرة منه ، وهل يجوز أن يعمل شىء فى شىء الا والآخر يعمل فيه؟ وخبرنى مذكم كان الناس أمة واحدة ، ولغاتهم متساوية ؟ وبعد كم بطن اسود الزنجى وأبيض الصقلى ؟ ولم صار اللون أسرع تنقصا من الجمود ؟ ولم كان الولد يجىء على شبه ما فى أبيه من الأمور الحادثة فى بدنه عن غير القديمة فى أصل تركيبه ، ومع ذلك لم يولد صبى قط فى العرب مجنونا ··

جعلت فداك أيما أطول عمرا الناس ، أم عير العانة ، أم الحية ، أم الضب ، ومتى تستغنى الحية عن الغذاء ، ومتى ينتفع الضب بالنسيم ! » (٤٢)

●● **حتى نصل الى هذه النوعية الأخيرة من المادة الجاحظية ، تلك** التى كان لها وضعها الخاص بالنسبة لمثيلاتها من مقالات اليوم . فبينما نجد بعضها يبتعد عن احدى نوعياتها الحديثة ، نجد البعض الآخر وهو يقترب كثيرا من نوعية أخرى ، من هذه النوعيات التى تعرفها صحافة اليوم ··· وهكذا اختلفت أوضاعها قربا أو بعدا من هذه المادة ·· على أن أهم فصائل هذه النوعية هى :

(أ) المقال الافتتاحى أو « الافتتاحية » :

لو رحنا نبحث عن « المقال الافتتاحى » ·· فى كتابات الجاحظ ، فاننا دون شك سوف نجد أنه يتجاذبنا شعوران ، أو يأخذ بنا احساسان ، يقومان على ملاحظة هامة ·· تلك هى أنه اذا كنا نقصد المقال الافتتاحى الحـــديث، بالصورة التى تعرفها الصحف والمجلات اليوم ، وبجميع خصائصه المرتبطة به ، أو أكثرها ـ على الأقل ـ فان مطلبنا يكون عسيرا بعض الشىء ، وذلك لاختلاف الظروف والأحوال والطبائع ، ولكن اذا كنا نريد هذه « الفواتح »